تاريخهم من لغتهم

أطلنطة

عبد الحق فاضل

فحين لاحت للبصر
اولى طلائع السحر
انبعثت من اصل افق السماء
غمامة سوداء
فى جوفها يلمع الرب « ادد »
يسعى امام فيه « خانيش » و « شولات »
لينذرا بين يديه فى السهول والجبال
واقتلع الدعائم الاله « ايراقال »
(فانهال ماء العالم السفلي)
وجاء بعده « ننرتا »
(رب الوغى ، بعزمه القوي)
وفتق السدود ...
وزمجرت
عواصف الجنوب ، يوما اكملا
احتدمت
حتى طغى هبوبها العاتي فغطى الأجبلا
تفتك فتكا بالنفوسي
هوجاء كالحرب الضروسي !
ولم يعد أخ يرى اخاه ..
... الخ

هذا جانب من وصف ذلك (الطوفان) المدمر الذى اغرق البشرية ، كالذى جاء فى ملحمة قلقميش (1)

والشطران الموضوعان بين قوسين (...) هما من اضافاتي لشرح المعنى الذى كان معروفا لدى القاريء البابلي الذى له نظمت الملحمة فلم يجد مؤلفها ضرورة لايضاحه . والذى يهمنا هنا ، فى هذا الحديث الغريب موضوعا والعجيب نتيجة ، هو (ايراقال) الذى يرد اسمه فى المصادر الانكليزية (Irragal) ، وهو عند البابليين الاه مياه العالم السفلي التي تحسبها دعائم او اعمدة ، وكأنهم كانوا يتصورونها مثل دعائم السدود والخزانات تقام لحبس مياه السيول والانهار . وكان اقدام هذا الاله السفلي الشرير على قلع تلك الاعمدة هو تفسير زيادة مياه الانهار عندهم وارتفاعها عن المستوى المعقول احيانا ، ايام الفيضان كل عام . وكثيرا ما كان انفتاق السدود يغرق القرى والزروع كما شهدنا مرارا فى الثلاثينيات والاربعينيات ، قبل بناء السدود المهمة الاخيرة التى الجمت واسرجت دجلة والفرات ايام

(1) ملحمة شعرية بابلية ، سبق التنويه بها فى حاشية موضوع « عشتار » فى العدد الماضي . ولكاتب السطور كتاب عنوانه « هو الذى راى » يتضمن ترجمة شعرية للملحمة تتقدمها دراسة عنها .

هياجهما . وما دامت دعائم السدود الفوقية هذه قوية محكمة لم يعد يهمنا اقتلاع دعائم المياه السفلية التى تسبب فوران الانهار .

ويبدو ان ولعي بمقارنة الالفاظ وتمحيص معانيها واستعراض متشابهاتها قد ابتلاني بحساسية خاصة لا شعورية فى بعض الالفاظ ، فما سمعت عيني كلمة **(ايراقال)** ، اعني ما وقعت عليها عيني وتحسستها اذني ، حتى قفز الى ذهني اسم **هرقل** (Herakles بالاغريقية و Hercules باللاتينية) . لكني فى العادة سرعان ما انبذ الاهتمام بالتشابه اذا لم اجد صلة معنوية تربط بين اللفظين . اما الشبه بين **(ايراقال)** و **(هرقل)** فلم استطع ان انبذه بهذه السهولة لان شيئا آخر قفز معه الى ذهني هو « اعمدة هرقل » Pillars of Hercules بالانكليزية و Hercules columnae باللاتينية) .

واذا لحظنا ان اقدم اسماء هرقل على اختلاف صورها فى اللغات الاوربية هو الاسم الاغريقي (هراكلس Herakles) الشبيه جدا باسم (ايراقال Irragal) البابلي لم يسعنا الا ان نتساءل جادين : هل **اعمدة هرقل** هي نفسها **اعمدة ايراقال** ، او هل هي مقتبسة منها ؟ هل هي اعمدة مائية ؟

ان **اعمدة هرقل** ليس لها تعريف واضح محدد، وانما يطلقها بعضهم على جزيرتين او اكثر فى المحيط الاطلسي بالقرب من جبل طارق . ويطلقها بعضهم على جزيرتين او اكثر فى البحر المتوسط بالقرب من جبل طارق ايضا . ولا يدري احد سبب هذه التسمية .

ثم قفزت الى خاطري مسالة اخرى . كنت قرات فى كتاب عربي ان هذا المضيق كان يقوم عليه جسر بأعمدة يعبر عليه الناس والدواب !

ومسالة رابعة . لنترك المسالة الرابعة الآن، لكي نعود اليها حين يجيء دورها فى تفسير غرق (اطلنطة) الذى تجرنا اليه ذكرى الطوفان البابلي .

اطلنطة (Atlantis او Atlantica) — قارة او جزيرة اسطورية كانت فى المحيط الاطلسي ، كالذى رواه افلاطون نقلا عن بعض قدامى الكتاب . وخلاصة المعروف عنها ان كهنة مصريين تحدثوا الى (صولون) عن تاريخ غابر لامته فقالوا له ان اعظم مآثر اثينة قاطبة هو دحرها لجزيرة اطلنطة التى يجدون فى مدونات لهم قديمة ، انها كانت قبل تسعة آلاف عام — من ذلك العهد — دولة عظيمة تقع قبالة اعمدة هرقل ، ويربو امتدادها على مجموع ليبية وآسيا الصغرى . وقد كانت ممرا الى جزر اخرى وقارة اخرى ، وكان البحر المتوسط مجرد ميناء لها . وتمتد امبراطورية اطلنطة من الاعمدة حتى مصر وتيرهنية (Tyrrhenia) . ويقول الكهنة المصريون « ان هذه الدولة القوية كانت قد عبأت قواتها ضد مصر وهيلاس (Hellas) — اليونان — وجميع الاقطار المحاددة على البحر المتوسط . وعندئذ دحرتها مدينتك بشجاعة ، فذاعت شهرتها فى الارض قاطبة. فقد قامت، معرضة حتى وجودها للهلاك وقد تخلى عنها الهيلانيون الآخرون ، بصد المغير فوهبت الحرية عن طواعية لجميع الامم الواقعة ضمن الاعمدة . وبعد ذلك بقليل حدث زلزال عظيم فغار كل قومك الصناديد فى الارض واختفت جزيرة اطلنطة كذلك فى البحر . وهذا هو تفسير الضحاضح التى توجد فى ذلك الجزء من المحيط الاطلسي» .

وتقول المعلمة البريطانية — ط 9 — عام 1875 ! — التى استقينا منها هذه المعلومات ان هذي هي المادة الاساسية لحكاية الجزيرة كما رواها القدامى، وهي حكاية ان لم تكن خيالية بجملتها فهي تعود الى اشد اصقاع التاريخ غموضا . ولعل القصة تجسد اسطورة شعبية ، ولعل الاسطورة قائمة على ظروف تاريخية معينة ، اما ماذا كانت هذه (الظروف) فمن المتعذر البت فيه الآن » .

لكننا نستبعد القول بانها اسطورة شعبية لان الاغريق الذين تخصهم الحكاية احرياء عندئذ ان يكونوا قد سمعوا بها خلال ذلك العهد المتطاول . هذا الى ان الكهنة الذين رووها قالوا انها من مدوناتهم ، لا من الاساطير المتداولة. ويصدق قول المعلمة فقط اذا قلنا ان تلك المدونات القديمة نفسها تعتمد على اسطورة شعبية .

اما طبعة عام 1960 — الحديثة — من المعلمة البريطانية فتشكك فى صدق افلاطون نفسه حيث تقول « ويتعذر البت الى اي مدى تعتمد هذه الاسطورة على اختراع افلاطون والى اي حد تقوم على وقائع لم يبق تسجيل عنها » .

والطبعة القديمة ـ الانفة الذكر ـ اقرب الى الانصاف والمنطق حين تعزو الشك فى صدق الاسطورة الى تقادم العهد وطبيعة المأثورات الشعبية بدلا من اتهام افلاطون باختلاق الرواية من اساسها.

ومهما يكن فقد اثارت المسالة مجادلات طويلة. فكذبها قوم لهم وزنهم وصدقها قوم لهم وزنهم . لكن كاتب المادة فى هذه الطبعة الحديثة من المعلمة اميل الى التكذيب حيث يقول كالمستنكر حتى فى القرنين السابع عشر والثامن عشر كان صدق الاسطورة يناقش فى جد ، وفى تصديق أحيانا حتى من قبل مونتاين (Montaigne) وبفون (Buffon) وفولتير (Voltaire) » !

ومما اضعف الحكاية واوهى حجتها كثرة الاساطير الشبيهة بها ـ والمنبثقة منها فيما نخال ـ منذ اودية هوميروس التى وردت فيها قصة شبيهة عن جزيرة الفاياقيين (Phaeacians) . وقد اهتم الباحثون بعد عصر النهضة بتحقيق اسطورة اطلنطة ، وقال بعضهم انها امريكة ، وآخرون اسكندناوية ، او الكناري .. وقال بعضهم انها فلسطين !

وارتأى بعض الاعراقيين (1) أن اخلاف اولئك الاطلنطيين المفرقين هم الباسكيون او قدامى الايطاليين او غيرهم .

لقد انكر الكثيرون وجود اطلنطة لكن احدا من المنكرين لم يستطع أن يدعم انكاره ببرهان مقبول . وقد ايد الكثيرون صحة وجودها لكن احدا منهم لم يتمكن من اثبات تأييده بدليل معقول . فهل فى وسع اللغة ان تساعفنا ولو ببصيص من النور فى هذه المتاهة المظلمة ؟

ارشدتنا اللغة الى الشبه بين اسم هرقل وايراقال ، والى دعائم هذا واعمدة ذاك . وقد جرنا الطوفان الذى احدثه قلع اعمدة ايراقال واغرق البشر فى العراق الى ذكرى تلك الجزيرة او القارة التى اغرقها الزلزال فى المحيط الاطلسي . فهل لهرقل علاقة ما باغراق اطلنطة ؟ هل قلع هو الآخر دعائمه فاهلك تلك الامبراطورية المتجبرة ؟

ان اسطورة اطلنطة هذه تغرقنا بدورها فى بحر من الغموض والمتناقضات . فقد سلف انها تقع فى « المحيط الاطلسي » من جهة وانها « تمتد من اعمدة هرقل حتى مصر » من جهة اخرى . فكيف نوفق بين هاتين القالتين ؟ كذلك سبق ان امتدادها « يربو على مجموع ليبية وآسية الصغرى » .. فما الداعي الى مقارنة اطلنطة بهاتين الرقعتين الكبيرتين من الارض فى شرقي البحر المتوسط وهي واقعة فى المحيط الاطلسي ؟

كذلك غرق الاثينيين ـ فى البحر المتوسط طبعا ـ لا يتفق مع اسم اطلنطة الذى هو اقرب الى اسم المحيط الاطلنطي او الاطلسي منه الى اسم اي بحر آخر .

ثم ما معنى قول الرهبان المصريين ان اثينة بدحرها جيوش اطلنطة « وهبت الحرية لجميع الامم الواقعة ضمن الاعمدة » ؟ فهل كانت هناك اعمدة لهرقل تحيط بالقطر الأثيني وعدد آخر ـ يبدو انه عدد كبير ـ من الاقطار ؟ .

هنا يأتي دور الحقيقة الرابعة التي خطرت لي مع اعمدة هرقل وكان نصيبها الارجاء حتى الآن .

يقول الجغرافيون ان البحر الابيض المتوسط كان ارضا يابسة تصب فيها الانهار من اوربة وافريقية اللتين كانتا من ثم متصلتين وان جبل طارق كان يمتد بينهما فى اقصى الغرب منهما كالجسر ، او بالحري انه كان يقوم بوجه مياه المحيط الاطلسي كالسد . ثم حدثت تقلبات ارضانية من الزلازل فانفتق الجبل وانقصم ، فتدفقت مياه المحيط الاطلنطي من ذلك الخرق العظيم الذى نسميه الآن مضيق جبل طارق فاغرق ارضا شاسعة هي التى تسمى الآن بالبحر الابيض المتوسط .. فانفتقت القارتان اللتان كانتا رتقا .

واذن فان كان لاسطورة اطلنطة نصيب من الصحة فلابد انها كانت فى منطقة هذا البحر الابيض المتوسط، لا فى المحيط الأطلسي .

وتشابه العقائد بين شعوب العالم القديم فى كثير من الكليات وبعض الجزئيات ، مثل عبادة الشمس والنجوم والظواهر الطبيعية .. يدل على أن عقيدة الاعمدة التى تحجز المياه ويحكمها الاه ، قد كانت شائعة أيضا منذ ذلك العهد السحيق يفسرون بها

---

(1) نقصد بهم علماء الاجناس او الاعراق البشرية « ethnologists » ونقترح لعلم الاعراق البشرية « ethnology » مصطلح « الاعراقيات » على غرار الارضانيات لعلم « الجيولوجية » .

فيضان الانهار . واذن فهذا الجبل المنقصم هو المقصود بأعمدة هرقل ، لا الجزر القريبة منه شرقا او غربا . واذن فالاله هرقل هو المجرم الذى قلع اعمدة مياهه فاغرق اطلنطة وبعض المناطق المحيطة بها مثلما كان ايراقال يرتكب جريمة قلع اعمدة المياه السفلية فى الرافدانية كل عام فيحدث الفيضان الذى يتقونه بالسدود الكثيرة المنتظمة ، الا اذا فتق الاه الحرب (نرتا) بعض السدود فيغرق الاراضي الفسيحة أحيانا ، وذات مرة بالاضافة الى تفتيقه السدود اغدق الاله (ادد) مياه العالم العلوي ايضا فحدث الطوفان الأكبر الذى اغرق العالم كله واهلك الحرث والنسل .

كان هرقل الاها عند الاغريق ، ابوه جوبيتر ، وامه (الكمينة Alcmena) . وكان اسم (هرقل) يطلق كذلك على بطل اغريقي انجز اثنتي عشر فعلة يتعذر انجازها على البشر العادي . لكن المعلمة البريطانية ـ ط 1960 ـ تقول ان هرقل ، اشهر ابطال الاغريق ، لا يمكن ان يكون الاها فى الاصل لأن اسمه الاغريقي (Herakles) ربما كان يعني « العطية المجيدة من (هيرة Hera) » ، لانه لم يكن للاغريق قط الاه يتركب اسمه من اسم الاه آخر . « فلعل رجلا حقيقيا ، او رئيسا .. يكمن وراء اسطورة هرقل البالغة التعقيد » ـ (مادة Hercules) ,

بعد الذى رأينا لا نستطيع ان نطمئن الى صحة هذا التأثيل القائم على تجزئة الاسم لمجرد الشبه اللفظي الذى وجوده بين اسم هيرة والنصف الاول من اسم هيراكلس ـ بالرغم من علمهم بمخالفة هذا التأثيل لطريقة الاغريق فى تسمية آلهتهم . بل يغلب على الظن ان الاسم منقول بتمامه من اسم (ايراقال) او من اسم آخر كان آثلا لكليهما .

وشبيه بهذه التسمية المنقولة اسم (لاتو Lato) أم ديانة وابولو ، اللذين انجبتهما من جوبيتر ايضا . وهو نفسه بدون تحريف او تحوير ، اسم اللات باللغة البابشورية (1) . ويسميها اللاتيين (لاتونة Latona) ايضا . ومن فرط افتتانهم باللات وتقديسهم اياها سموا من باب التبرك والتشريف على ما يظهر ـ ولديها من جوبيتر هذين باسمين مشتقين من اسمها بالاضافة الى اسميهما الأصليين ، وهما الاتويوس (Latoius) : ابولو ، و (لاتوية Latoia) او (لاتوية العذراء Latoia virgo) : ديانة (2) .

فهذا الذى تقدم هو الذى يبرر لنا الى حد ما اننا رجحنا كون اسم (هيراكلس) مقتبسا بكامله ، غير مجزأ . اطلقه الاغريق على الاه الدعائم المائية اولا ثم على البطل الانسان ، الاغريقي المشهور .. لا كما ذهب اليه كاتب المعلمة البريطانية من ان « شخصا حقيقيا او رئيسا .. يكمن وراء اسطورة هرقل البالغة التعقيد » .. التى زادها ذلك التأثيل الخاطيء من اسم (هيرة) تعقيدا . وتسمية الاشخاص البشر بأسماء الآلهة مألوفة منذ القدم ، منها تسمية بعض الملوك الرافدانيين نستشهد منهم بالاهين اللذين مر ذكرهما فى اطلاق بلاء الطوفان وهما (أدد Adad) : الاه الزوابع والرعود والامطار ، و (نرتا Ninurta) : الاه الحرب .

اما التناقضات التى مر حديثها عن موقع اطلنطة فتنحل مشكلتها بمجرد قولنا انها كانت فى البحر المتوسط ، لا فى المحيط الاطلسي كما توهم الأقدمون الذين خدعتهم مشابهة اسم هذا المحيط لاسم تلك لجزيرة . والذى يهدينا اليه التأثيل ان اسماء اطلنطس (Atlantis) واطلنطيقة (Atlantica) والمحيط الأطلنطي (Atlantic) ترجع الى أثل واحد هو الصحيح الصريح وتعني (اطلس) ، وهو اسم عربي خالص يد لعلى قدم اكتمال اللغة العربية وسعة امداء انتشارها فى ربوع العالم القديم .

---

(1) اللغتان البابلية والآشورية متقاربتان لان الشعبين بطنان من قبيل واحد . وحين استولى الآشوريون على بابل اتخذوا اللغةالبابلية الفصحى ـ اي الرسمية ـ لغتهم الرسمية والثقافية ، وتكونت على مر الزمن لغة قوامها مزاج من اللغتين يسميها علماء الرافدانيات اللغة « البابلية الآشورية » . ونقترح ادماج الاسمين اختصارا فى اسم واحد هو (البابشورية Babissyrian) .

(2) ويحتمل بالاضافة الى ذلك ان يكون اسم « لاتو » أو أحد مشتقاته اثل كل من «لاتيوم Latium) اي الموقع الذى تقوم عليه مدينة روما ، و «لاتينيوم Latinium) اي اللاتيومي (اللاتيني) واللغة اللاتينية .

والأطلس (Atlas) اسم اطلقه الاغريق على الاه يسند الاعمدة الباسقة التى تستبقي الارض والسماء منفصلتين ، ثم مسخه الاله (بيرسوس Perseus) جبلا صخريا عقابا له على سوء استقباله . لكن الذى نخمنه ان العكس هو الصواب اي أن الاسم كان يطلق اولا على جبل اطلس ثم مسخته الاسطورة الاها . . على عادة الاساطير مع الجبال الاخرى والانهار والآبار والاشجار والاحجار . وامتداد جبل اطلس حتى المحيط الاطلسي هو الذى جعل هذا المحيط يسمى اولا « البحر الاطلسي» ثم « المحيط الاطلسي » ، نسبة الى الجزء العربي الاخير ، المجاور للمحيط ، من هذه السلسلة الجبلية الطويلة .

وهذا ايضا يؤيد ان اطلنطة كانت فى البحر المتوسط لان جبال اطلس موازية ومحاذية له، فمن المعقول عندئذ ان تسمى هذه الجبال باسمها . وهو من جهة يفسر قول اولئك الكهنة ان امبراطورية اطلنطة كانت تمتد من الاعمدة حتى مصر وبيرهنية ، ويوحي الينا من جهة اخرى ان ارض اطلنطة ربما كانت تتضمن هذه السلسلة من الجبال اي انها لم تغرق كلها طبقا لحدودها السياسية بل غرق الجزء المنخفض الاهم المأهول او المزدحم بالسكان منها ومن بعض الاقطار المجاورة لها ، فقالت الاسطورة انها غرقت كلها ، كما ان الفيضان البابلي اغرق جزءا كبيرا من جنوبي العراق . فقالت اسطورتهم انها اغرقت العالم كله . فعلى هذا ربما يمكن القول ان بعض اراضي المغرب العربي الكبير — من ليبية الى المحيط — كان جزءا من امبرطورية اطلنطة

ويذكر القاريء ان الكهنة قالوا لصولون انه بعد حدوث الزلزال العظيم « غار كل قومك الصناديد فى الارض، واختفت جزيرة اطلنطة كذلك فى البحر . وهذا هو تفسير الضحاضح التي توجد فى ذلك الجزء من المحيط الاطلنطي » .

ان النصف الاول من هذه العبارة يؤيد كذلك كون اطلنطة فى البحر المتوسط لان قوم صولون الصناديد فيه تقع بلادهم . واما تلك الضحاضح « فى ذلك الجزء من المحيط الاطلنطي » فلا نعرف المكان المقصود به لكننا واثقون ان امم هذا المحيط مقحم هنا فى غير موضعه بسبب مشابهة الاسم التى ضللت الرواة منذ قديم الزمان . غير انه يمكن تطبيق الضحاضح على بحر ايجة الذى يكتنف ارض اليونان وعلى الارخبيل بوجه عام .

ومما يستأهل الذكر هنا ان الباحثين المحدثين قد وجدوا بقايا من طمي دلتة النيل فى ذلك الارخبيل قرب اليونان ما ينبيء أن هذا النهر كان ينصب هناك ذات زمان ، أي أن أرض مصر كانت تمتد حتى الارخبيل الايجي قبل الغرق . وذلك تايد اي تأييد لقول الكهنة العلماء ان اطلنطة كانت قد عبأت قواتها ضد مصر وهيلاس ، لان امتداد الارض المصرية حتى السواحل اليونانية يعني طبعا انهما كانتا متجاورتين.

وقد تساءلنا آنفا عن معنى كلام الكهنة عن تحرر جميع الامم الواقعة «ضمن الاعمدة» ، الذى يوهم ظاهره ان هناك اعمدة كانت تحيط بعدد غير قليل من الاقطار . فالآن تجيبنا حقيقة انفتاق جبل طارق عن تساؤلنا . فالمقصود هو جميع الاقطار التى تقع ضمن المنطقة التى اغرقها اقتلاع الاعمدة ، او البحر الذى لا منفذ له الى المحيط الاطلنطي غير تلك الاعمدة التى انقلعت وزالت وبقي اسمها يطلق على مكانها .

واما نعت اطلنطة بالقارة تارة وبالجزيرة طورا من قبل الكهنة انفسهم فالظاهر انها تسمية متأخرة . سميت قارة تعبيرا عن اتساع رقعتها ، وسميت جزيرة على اعتبار انها كانت فى المحيط الاطلسي .

لكن العجب العجاب هو شأن اولئك الباحثين الذين شخصوا الارض المغرقة بأمريكة واسكندناوية والكناري وفلسطين ، بعد عصر النهضة . ولم تذكر المعلمة حجة كل منهم . لكن هذه اراض موجودة لا مفقودة ، ويجوز ان يقال ان زلزالا قد ابرزها من البحر لا ان يقال ان زلزالا قد اغرقها فى البحر .

واما قول القائلين ان جسرا كان يقوم على مضيق جبل طارق فوهم صراح ، لان العالم المتحضر لم يستطع حتى اليوم أن يقيم جسرا على مثل هذا المضيق البحري العريض .

لكن هذا الوهم قد سببه فيما يظهر ان بعضهم صار يسمى المضيق نفسه « اعمدة هرقل » فأول ما يخطر على بال سامع هذه التسمية هي دعائم الجسر ، فخالوا ان جسرا كان وزال . وحين يكون جسر يعبر الناس ، والدواب ايضا .

ونعود الى قول الكهنة ان تاريخ اطلنطة يرجع الى تسعة آلاف عام قبل عهد صولون ، فهذا لا نشك فيه لان الحضارات وتأسيس الامبراطوريات الضخمة والجيوش المعباة المنظمة الجرارة لم تكن قد ظهرت فى ذلك التاريخ البعيد . ولا نستطيع نحن تحديد تاريخ

ولو تقريبي ، لاننا لا نعرف متى وقع الزلزال الوخيم. وانما هم الارضانيون الذين يسعهم أن يفيثونا في معرفة ذلك . لكن الواضح ان الرقم (9000) المبالغ فيه يتفق مع طبيعة الاساطير والتواريخ الموغلة في القدم ، التي كثيرا ما يداخلها الخلط والتزيد ، حتى لو كانت قائمة في أصلها على حقائق من الواقع .. كالذي نراه حتى في (تواريخنا) المعاصرة .

الأرجح عندنا اذن ان اسم (**اطلس**) قد كانوا اطلقوه على أطلنطة نفسها اول مرة ، ثم انتقل الى سلسلة الجبال الموازية لها ، او التي كانت ضمن امبراطوريتها أو حدودها كالذي نوهنا به قبل ، ومن ثم انتقلت التسمية الى المحيط الأطلسي .

ومعنى (الأطلس) في عربيتنا الباقية : الاغبر الى سواد . واصله فيما نعتقد : الأسود ، وهذا أصله المظلم ، من قولهم طلس البصر : ذهب ، وأثله طمس البصر او النجم : ذهب ضوؤهما ، أي اظلما . ومثل ذلك دلس ودمس ... (وقد ورد تأثيل هذه الالفاظ وتجانس معانيها في موضوع « دخيل أم أثيل » في مكان آخر من هذا العدد من «اللسان العربي») .

ويبدو أن تلك الارض انما سميت بالاطلس كناية عن خصبها على غرار تسمية العراق « ارض السواد ».

والذي يرجح ذلك ويؤيد ان الاقدمين كانوا يطلقون السواد على الارض المخصاب لشدة خضرتها هو أن قدامى المصريين ايضا كانوا يطلقون نفس الاسم على بلادهم .

ومعلوم ان العرب كثيرا ما كانوا يذكرون بعض الالوان مكان بعض على المجاز او الاستعارة ، ومن ذلك اطلاق السواد على خضرة الزروع بوجه عام حتى صار قولهم « سواد البلدة » يعني ما حولها من الريف والقرى (1) .

فاسم قارتنا المفقودة اذن هو (**اطلس**) على ما يبدو لنا من تسلسل تطور الكلمة ، ثم اطلقت على الجبال المغربية الموازية لها ، او الداخلة ضمن منطقتها على الأرجح ، أو المعينة لحدودها الجنوبية . وقد سماها الاجانب **اطلنطس** (Atlantic) ، ثم سموا المحيط الاطلسي (Atlantis) نسبة اليها ، ثم هم عادوا الى القارة فسموها **اطلنطيقة** (Atlantica) نسبة الى هذا المحيط ، الذي حسبوها غرقت فيه .

كان الاغريق يسمون الثور tauros واللاتين يسمونه taurus) وهو اسمه العربي الواضح . حتى زيادة السين في آخر الاسم سبق أن أثلناها في العربية (في عدد سابق من « اللسان العربي » وفي كتابنا « مغامرات لغوية ») . وكان القومان ــ الاغريق واللاتين ــ كلاهما يطلقان الاسم على جبال طوروس . وربما كان الذين بدؤوا هذه التسمية قوما اقدم كثيرا من اللاتين والاغريق ، أي قوما كانوا يتكلمون العربية، او كانوا يتكلمون لغة اقرب الى العربية من الاغريقية التي تدل الملابسات اللغوية على انها هي الاخرى كانت في عهودها الاولى اقرب الى العربية .

فمن اجل هذا وامثاله من القرائن يسعنا القول ، انه لايستبعد أن يكون هذا شأن الذين اطلقوا اسم (**اطلس**) على الارض التي التهمها البحر المتوسط ، بمعنى الارض السوداء .

ولو اتسع بنا الوقت ومصادر البحث لاتينا بالكثير من التسميات الاوربية القديمة التي تتأثل في العربية . ولعل لنا عودة الى تفصيل ذلك اذا تيسرت لنا الفرصة ذات حين . ويكفينا الآن أن نقول مثلا ان اسم قرطبة Corduba باللاتينية) الذي اثلة (قريت طيبت) اي البلدة الطيبة (2) ، كما سماها بناتها الكنعانيون (الفينيقيون) (3) .. وكما يقول الباحثون .. يذكرنا باسم (ثيباي Thebae) الذي كان الاغريق يطلقونه على مدينة (طيبة) في مصر العليا ، وعلى مدينة ثانية في (بويوتية Boiotia) اسسها قدموس الكنعاني ، وعلى مدينة ثالثة في (سالية

---

(1) من امثلة خلط العرب الالوان بعضها ببعض تسميتهم الاسود اخضر ــ على العكس مما تقدم ــ في مثل قولهم « اخضر شاربه » اي اسود ، واصل المعنى نبت . كذلك قولهم « القبة الخضراء » اي الزرقاء ، و « زرقاء المنايا » اي سودها . والبغداديون يقولون ان الخوخ مثلا « ازرق » اي اخضر ، فج لما ينضج .

(2) جاء في الآية : «بلدة طيبة ورب غفور » مما قديدل على ان هذا التعبير كان مالوفا ومستحبا عند العرب ، ومن ثم سموا به قرطبة ، وغيرها ايضا فيما نظن .

(3) يراجع فصل لنا في المصدرين المذكورين عن تسمية « فنيقية » .

فيثيوتيس Thesalia Phthiotis) ، وعلى بلدة رابعة في (ميسية Mysia) وهي التي دمرها اخيل .

وان كان بعض هذه المدن حديثا كنعانيا كتلك التي بناها قدموس في بويوتية فلعل (طيبة) مصر وبعض الاخريات اقدم عهدا من ذلك بأحقاب كثيرة ، ولعلها معاصرة لقارة اطلس .

ولولا خشيتنا الاغراق لقلنا ان بلاد (التيبت Tibet) في احضان هملاية ايضا قد تكون من هذه المجموعة الأعربية ولاسيما اذا كان الاسم يعني في لغتهم قديما او ما زال يعني الطيبة او الحسنة ، او ما الى ذلك . فان صح هذا كان لنا ان نستنتج ان فريقا من العرب سموا التيبت بالطيبة ربما في نفس الحقبة التي سمى فيها فريق آخر منهم ذلك الربع الفريق (اطلس) .

ولنزد الامر غرابة وتطلبا للتأمل وانعام النظر فنقول لعل اسم **(تايوان)** (1) – اي جزيرة فرموزة كما سماها البرتغاليون الفاتحون – ايضا من هذه الفئة فهو قريب من اسم (تيبت) ولاسيما اننا سمعنا من احد الصينيين ان اسمها يعني الأرض او الجزيرة الجميلة !

فمن من قرائنا الكرام تتاح له الفرصة لمعاونتنا في التحقق من هذه وتلك ؟

---

(1) ان الحروف B و W و V – كثيرا ما يحل بعضها محل بعض في مختلف اللغات . وفي الفارسية ينطق الواو باء في بعض الالفاظ مثل كتاب وكاو : بقرة . لهذا تنطق تايوان في الفارسية مثلا : Tayban و Tayvan .